(١٩) [المتكبر]

ورد اسمه سبحانه (المتكبر) في القرآن مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

المعنى اللغوي:

قال الراغب: «عن ابن السكيت أنه قال: كِبْر الشيء: معظمه. قال: والكِبْر من التكبير أيضًا، فأما الكُبْر بالضم: فهو أكبر ولد الرجل. وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة؛ لأن الله عز وجل هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وهو الذي يستحق أن يقال له: المتكبر. وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ أي أعظمنه. والكِبَر مصدر الكبير في السن»[(١)].

المعنى في حق الله تعالى:

«(المتكبر) العظيم ذو الكبرياء، المتعالي عن صفات خلقه، المتكبر على عتاتهم. والكبرياء: العظمة والملك. وقيل: هي عبارة عن كمال الذات، وكمال الوجود، ولا يوصف بها على وجه المدح إلا الله»[(٢)].

وقال الخطابي: «المتكبر: المتعالي عن صفات الخلق. ويقال: هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم. والتاء في المتكبر :

(١) المفردات للراغب.

(٢) لسان العرب ٣/ ٢١٠.

تاء التفرد، والتخصص بالكبر، لا تاء التعاطي والتكلف»[١].

وقال قتادة: (المتكبر) أي: تكبر عن كل شر[٢].

وقيل: (المتكبر) هو الذي تكبر عن ظلم عباده وهو يرجع إلى الأول[٣].

مما سبق من النقولات يمكن فهم معنى اسمه سبحانه (المتكبر) في المعاني التالية:

١- المتكبر والمتنزه عن كل سوء وشر.

٢- المتكبر على عتاة خلقه وجبابرتهم إذا نازعوه العظمة فيقصمهم.

٣- المتكبر عن ظلم عباده فلا يظلم أحدًا.

٤- المتكبر والمتعالي عن صفات خلقه فلا شيء مثله.

٥- الذي كبر وعظم فكل شيء دون جلاله صغير وحقير.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: (**يقول الله - عز وجل -: العز إزاري، والكبرياء ردائي فمن نازعني عذبته**)[٤].

وقد كان النبي ﷺ يسبح ربه سبحانه ويثني عليه في ركوعه وسجوده بهذا الدعاء: (**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**)[٥].

---

(١) شأن الدعاء ص ٤٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٨/ ٣٧.

(٣) نفس المصدر السابق ٢٨/ ٣٧.

(٤) مسلم (٢٦٢٠) في البر والصلة باب تحريم الكبر، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٦.

(٥) رواه النسائي في الصلاة باب أذكار الركوع، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٠٠٤).

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (المتكبر):

١- امتلاء القلب بخلق التواضع لله تعالى بتوحيده وعبادته، والانقياد للحق الذي جاء في كتابه سبحانه وعلى لسان رسوله ﷺ. والتواضع لعباد الله وعدم التكبر عليهم، والبعد عن ظلمهم وهضم حقوقهم. قال ﷺ: **(الكبر بطر الحق وغمط الناس)**[١]. وبقدر ما في القلب من تعظيم الله تعالى والإيمان بكبريائه وجلاله يكون التواضع للحق وترك احتقار الخلق.

قال ﷺ: **(إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)**[٢].

وللإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - كلام نفيس عن التواضع للحق وصوره وأصناف الناس في تكبرهم على الحق فيقول: «التواضع للدين هو: الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له، والإذعان. وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يعارض شيئًا مما جاء به بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم، المسماة بالمعقول والقياس، والذوق، والسياسة.

فالأول: للمنحرفين - أهل الكبر من المتكلمين - الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة، وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وعزلنا النقل، إما عَزْل تفويض، وإما عَزْل تأويل.

والثاني: للمتكبرين - من المنتسبين إلى الفقه - قالوا: إذا عارض

---

(١) مسلم (٩١).

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

القياس والرأي النصوص، قدمنا القياس على النص ولم نلتفت إليه.

والثالث: للمتكبرين المنحرفين - من المنتسبين إلى التصوف والزهد - فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر، قدَّموا الذوق والحال ولم يعبؤوا بالأمر.

والرابع: للمتكبرين المنحرفين - من الولاة والأمراء الجائرين - إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة، قدموا السياسة ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة: هُم أهل الكبر. والتواضع: التخلص من ذلك كله.

الثاني: أن لا يتهم دليلاً من أدلة الدين، بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدلالة أو قاصرها، أو أن غيره كان أولى منه، ومتى عرض له شيء من ذلك فليتهم فهمه، وليعلم أن الآفة منه، والبلية فيه، كما قيل:

وَكَمْ مِنْ عَائِب قَوْلاً صَحِيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

وَلكِنْ تَأخُذُ الأذهَانُ مِنْهُ ... عَلَى قَدْرِ القَرَائِحِ وَالفُهُومِ

وهكذا الواقع في حقيقة أنه ما اتهم أحد دليلاً للدين إلا وكان هو المتهم الفاسد الذهن، المأفون في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل لا في نفس الدليل.

وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك، وينبو فهمك عنه فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأن تحته كنزًا من كنوز العلم، ولم تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك.

وأما بالنسبة إلى غيرك فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي،

وليكن ردها أيسر شيء عليك للنصوص، فما لم تفعل ذلك فلست على شيء: ولو .. ولو .. وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

قال الشافعي قدَّس الله روحه: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ: لم يحل له أن يَدَعَهَا لقول أحَد».

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلاً البتة، لا بباطنه ولا بلسانه ولا بفعله ولا بحاله، بل إذا أحس بشيء من الخلاف فهو كخلاف المُقْدِمِ على الزنا، وَشُرْب الخمر، وقتل النفس، بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك، وهو داع إلى النفاق، وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم[1].

٢- الخوف من الله - عز وجل - والحياء منه مما يكون له الأثر في المبادرة إلى طاعته فيما أمر به، واجتناب ما عنه نهى وزجر، والإخلاص له سبحانه في ذلك، وتعظيم أمره، والانقياد لحكمه.

٣- اليقين بأنه ما من متكبر وطاغية إلا وسيقصمه الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة؛ قال الله - عز وجل -: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦]، وفي الآخرة يقول الله - عز وجل -: ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠]،

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٣٤، ٣٣٥.

وقال الرسول ﷺ: (**يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس**)[1]. وهذا يثمر في قلب المؤمن عدم الاغترار بقوة الكافر وجبروته؛ فإن الله عز وجل فوقهم وقاصمهم إذا أخذ المؤمنون بأسباب النصر وشروطه.

اقتران اسمه سبحانه (المتكبر) باسمه سبحانه (الجبار)، (العزيز):

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – عن هذا الاقتران: «جعل سبحانه اسمه (الجبار) مقرونًا بـ: (العزيز والمتكبر)، وكلُّ واحدٍ من هذه الأسماء الثلاثة تضمَّن الاسمين الآخرين.

وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة وهي: ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

فـ (الجبَّار)، (المُتكبِّر) يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم (العزيز)، كما أن (البارئ المصور): تفصيل لمعنى اسم (الخالق).

فـ(الجبار) من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة، والعزة، والملك.

ولهذا كان من أسمائه الحسنى، وأما المخلوق فاتصافه بالجبار: ذمٌّ له ونقصٌ، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥] »[2].

(١) مسند أحمد (٦٦٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٦٨)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٣٤).

(٢) شفاء العليل ١/ ١٢١.